

خطب منبرية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل



61. النّفوس الأبيّة لا ترضى بحياة الذّلّ والـهوان

20 ذو القعدة 1380هـ الـموافق 5 ماي 1961م

الـحمد لله الّذي فرّج عنّا هذه الكربات، وأزال عنّا بعضًا من هذه العقبات؛ ليتمّ لنا بذلك حلّ الـمشاكل والـمعضلات، وأشهد أن لا إله إلّا الله، الّذي {يُـجِيبُ الْـمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِـفُ السُّوءَ وَيَـجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ} [النمل: 62]، وأشهد أنّ مـحمّدًا عبده ورسوله، الّذي أنـار الأفكار بتعاليمه، وهذّب النّفوس لتستقيم على دين الله وقوانينـه، صـلوات الله وسـلامه عليـه، وعلـى آله وأصحابه الّذين لـم يتوانوا عن نصـرته، ولـم يـحيدوا عن سنّته وفكرتـه، فجـزاهم الله علـى حسن إخلاصهم، وشدّة ثباتـهم ومراسهم.

أمّا بعد: فإنّ هـذه العلائـم الظّـاهرة، والـدّلائل البـاهرة، قـد كشـفت لنـا عـن سرّ الظّـروف والأحوال الّتي تعتبر نقطة أساسيّة فـي مستقبل حياتنا، وسير نــهضتنا الدّينيّـة والأدبيّـة، ومـن هذه الـمظاهر سنكتسب فكرة جديدة للأخذ بأقرب الوسائل والطّرق لاختصار الـمسافة الّتـي نحن في طريقها، والـمثابرة علـى مواصلتها.

وأنّ هذه الأحوال الـجديدة سنبني عليها نـهضتنا الّتي لــم تتـأخّر عـن قوافـل الأمـم، ولــم تـهمل نفسها عن القيام بواجبها، والنّضال عن كيانـها.

وأنّ السّير العملـيّ لا بدّ أن يـحدث تطوّرًا فـي هذه الـحياة، ويــجدّد مـا انـدثر مـن ميـزات الأمّة ومن عزّها ومـجدها فـي سائر أنواع الـحضارة والتقدّم.

ولذلك لـمّـا كانت النّفوس أبيّة لـم ترض بحياة الـذّلّ والــهوان، ونراهـا قـد رفعـت ذلـك السّتار الّذي حجب عنها نور الـمعرفة والـحقائق مدّة من الزّمن.

وأنّ أصحاب الطّموح وأصحاب النّفوس الكبيرة لا يقف بـهم السّير حول الأشياء البسـيطة، ولا تلهيهم مصالـحهم الـخاصّة عن دخول الـمعارك الـحيوية الّتي ترفع مسـتوى الأمّـة بمـا يتطلّب هذا العصـر الّذي نعيش فـي أكنافه.

ومن هذا الاندفاع نحو التّخلّص مـن كـلّ القيـود لتأييـد طريـق الــحقّ أن نعتمـد فــي كـلّ الـمواقف علـى خالق الكون، وأنّ حكمه الّذي كنّا ننتظره قد نزل، وأمره قـد نفـذ، كمـا قـال جلّ شأنه: {إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (78) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79)} [النمل: 78-79].

ولـمّـا تــجاوز الأمـر حـدّه فــي الغـيّ والضّـلال، ولم يكـن هنـاك تعقّـل، ولا إدراك لقيمـة الإنسانيّة، وقعت النّكبة عليهم، وأصيبوا بالبكم، جزاءً لـهم عن سوء صنيعهم، كمـا قال جـلّ شأنه: {وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ} [النمل: 85]